

رمضان هو شهر الصبر



«شهر رمضان هو شهر الزكاة والإحسان، والصيام وقاية وشفاء من عقد التعالي والغرور. ففريضة الصوم، كبقية أركان الإسلام، تساوي بين جميع المكلّفين وتجعلهم سواسية أمام الخالق في أداء هذا الركن. والصوم وقاية وشفاء من عقدة العَجَل والتسرّع وحرقة الطلب، فهو يحوّل هذه العقد إلى فضيلة الصبر، وهي من كبريات الفضائل: "الصوم هو نصف الصبر، وشهر رمضان هو شهر الصبر". إنَّ خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ص) إنما أرسله العليم الخبير رحمة للعالمين كافة بشيراً ونذيراً، وقد كان الرسول الأعظم (ص) حريصاً أشد الحرص على أداء رسالته تجاه الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور في كلّ حقل من حقول الحياة المترامية الأطراف (لَقَدْ دُجِّعَ كُفْرُكُمْ رَسُولُ مَنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة / 128). ولقد قال صاحب الخلق العظيم والقلب الرحيم الكثير في شهر الله ولكن أشهر ما قاله (ص) هو الخطبة التاريخية الجامعة التي تشكل في حقيقتها برنامجاً كاملاً لتكامل الإنسان فرداً ومجتمعاً. ومن الخطبة التي يرويها علي بن موسى الرضا (ع) عن آباءه - عليهم السلام - عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) حيث يبدأ الرسول الأعظم (ص) خطبته التي ألقاها قبيل حلول شهر رمضان بقوله: "أيّها الناس إنّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، وهو شهر دعيت فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامته...". أجل إنَّ الرسول الأكرم (ص) يؤكد امتياز شهر رمضان على سائر شهور السنة في كثير من مواقع هذه الخطبة الجامعة الرائعة، منها قوله فيها وبعد تلك البداية الكريمة المباشرة: "أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب...".

ثمّ يقول في موقع آخر من هذه الخطبة التاريخية: "أيّها الناس: من حسنّ منكم في هذا الشهر خلقه كان له جوازاً على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، ومن كف فيه شره كف الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه، ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله براءة من النار، ومن أدى فرضاً كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة على نبيّ الله وآله في يوم تطف الموازين ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور...". وهكذا يمضي الرسول الرؤوف الرحيم لبيان ما يمتاز به هذا الشهر العظيم على

سواه من الشهور في هذه الخطبة العظيمة التي ألقاها في أواخر شهر شعبان. وقد ذكر الرسول القائد (ص) امتيازات أخرى لهذا الشهر في غير هذه الخطبة، كما ذكر الأئمة الهداة كذلك. ومن هذه الامتيازات هي أن شهر رمضان كان ظرفاً لنزول القرآن العظيم وكل الكتب السماوية الأخرى التي سبقته. مما يشير إلى ما ذكره الرسول في بداية الخطبة إلى جانب من جوانب البركة التي يعنيها. يقول صادق أهل البيت (ع): "نزلت التوراة في ست مضيّن من شهر رمضان، ونزل الإنجيل في اثني عشر مضت من شهر رمضان، ونزل الزبور في ثماني عشر مضت من شهر رمضان، ونزل الفرقان في ليلة القدر". إن هذا الشهر عظيم مبارك بكل ما تعني كلمة عظيم ومبارك من المعاني، ولهذا يجب أن نغتني جميعاً هذه الفرصة الذهبية من العمر للعودة الصادقة المخلصة إلى رب العالمين، وإلى منهجه القويم لبناء أنفسنا وتغيير ما بها ليغيرنا ما بنا وبواقعنا ويغير سوء حالنا بحسن حاله. إن هذه الامتيازات والخصوصيات التي ذكرت والتي لم تذكر لهذا الشهر فرصة الإنسان المؤمن إن كان يريد أن يقتدم على طريق الخير والصالح والهدى والاستقامة... فرصة لاستنقاذ نفسه من ثقل الأرض وجاذبية الضرورات، والتحرّر من سيطرة الغرائز والشهوات، وإعطاء القيادة للعقل والدين، وإعلاء (نفخة الروح) على (قبضة الطين). إن الامتيازات والخصوصيات التي ذكرها الرسول الأعظم (ص) في خطبته المذكورة وفي غيرها من الكلمات والخطب له ولأهل بيته الكرام (ع) تعني: أن الخالق سبحانه وتعالى رؤوف بالعباد رحيم يريد لهم الخير والسعادة والطهر والفلاح، وقد ورد في القرآن العظيم: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا) (الأنعام/ 160). وورد في الحديث الشريف: "مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَدَّمَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ جَاءَنِي مَشِيًّا جِئْتُهُ هَرْوَلَةً". وهذه النصوص وغيرها تحث الإنسان الخطي ليغذر السير على طريق اللّاحب طريق الخير والهدى لبناء الذات وبناء الحياة. إنَّها فرصة إلهية وإضاءة الفرصة غصة كما يقول أمير المؤمنين (ع): "إنَّ الفرص تمر مرَّ السحاب" وعلينا أن نغتني "الفرصة الممتازة" (فرصة شهر رمضان) لنحقق "الشرط" الذي اشترطه رب العالمين علينا شرط (تغيير أنفسنا على ضوء هداه ليتحقق الجزاء).. تغيير واقعنا (إِنَّ اللَّاهَ لَا يُغَيِّرُ مَالًا بِقَوْلٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد/ 11). إنَّ "امتياز" شهر رمضان على غيره من الشهور بكثير من "الامتيازات" ينبغي أن يكون دافعاً لنا وحافزاً على وضع برامج لتربية أنفسنا أفراداً ووضع خطط لتربية أبناء أُمَّتِنَا الناهضة، (وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّاهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (التوبة/ 105).